جماليات السجن في (الوحدة تدلل ضحاياها) لدارا عبدالله

The Aesthetics of Prison in (Unity Pampering Its Victims) by Dara Abdullah

د. ديوالي حاجي جاسم
أستاذ مساعد
جامعة دهوك – كلية التربية الأساسية

Dr. Diwali Haji Jassim
Assistant Professor
University of Duhok - College of Basic Education

dewali.jasim@uod.ac

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٣/١٠	٢٠٢٢/٤/٥

الكلمات المفتاحية: جماليات– السجن– الوحدة– التعذيب– دارا

Keywords: Aesthetics- prison- loneliness- torture- Dara

الملخص

يبقى السجن هو الجانب المظلم من حياة الكثيرين، ممن ذاقوا تجربة الاهانة وفقد الحرية والكرامة، ولا سيما حين تكون السجن أداة بيد الظلمة لتصفية المناوئين لها، خاض الكثير من الأدباء والكتاب تجربة السجن فضلا عن تجربة الكتابة عنها، ودارا عبدالله الكوردي السوري واحد من هؤلاء، وبخاصة في كتابه(الوحدة تدلل ضحاياها)، حيث نقل تلك التجربة المرَة بأسلوب أدبي حبب إلينا فظائع السجن!! في جانبها المادي والنفسي.

Abstract

Prison remains the dark side of the lives of many, who have tasted the experience of humiliation and the loss of freedom and dignity, especially when the prison was a tool in the hand of darkness to liquidate its opponents. Many writers and writers went through the prison experience as well as the experience of writing about it. Especially in his book (Unity Pamper Its Victims), where he conveyed that bitter experience in a literary manner that endeared us the horrors of imprisonment !! In its physical and psychological aspect.

المبحث الأول

مقاربة مفهوماتية للجمالية والسجن

المطلب الأول: الجمالية

الجمالية اسم مؤنث منسوب إلى الجمال وهو مصدر صناعي منه، أي ما يخص النواحي الجمالية[١]. ووفق هذا (فالجمالية) أو (علم الجمال) مصطلح يستعمل في الفكر المعاصر للدلالة على تخصص في العلوم الإنسانية يتعلق بدراسة (الجمال) من حيث هو مفهوم في الوجود وتجربة فنية في الحياة الإنسانية[٢].

فهي إذا نزعة مثالية تبحث عن الخلفيات الشكلية للانتاج الأدبي والفني لاختزال عناصرها في جمالية المقايس، بل تعني خصيصيا بالقيمة والعناصر التي تكسب الأعمال الإبداعية جمالا فنيا[٣].

وفلسفة جاستون باشلار (Gaston Bachelard 1962-1984) الجمالية تمثلت في الاتجاه السائد منذ بداية القرن العشرين والذي ينظر إلى الفن من جهة البعد الجمالي للفن(the aesthetic) اي النظر إلى الفن باعتباره صورة معبرة فحسب، وليس في مضمونه المعرفي أو في أية دلالة تشير الى خارجه[٤].

ولكن هذا لا يسد باب الجمال أمام رسالة المبدع وأهدافه وصوره الخيالية التي البسها شكلا فنيا تكفل بتقديمها في أبهى صورة.

وجمالية النص الأدبي يضم تجلياته الشكلية والمضمونية، وما هو إلا بصمات لحظة شعرية افلتت، يسعى القارئ جاهدا لإعادة تمثلها وتمثيلها، ليس على وجه واحد فقط، بل على أوجه متعددة يتحملها النص الأبداعي الذي يتسم بانفتاحه دون ان يكون منغلقا ومتقوقعا على نفسه[٥].

ان ما اورثه العرب من جمالية البحاثين القدماء، وهو الزاد الفكري الوحيد للمحدثين إلى الكشف عن أسرار الفن، فإنه محصور في مفاهيم الجمال الأدبي، كما أبدعته عبقريات العصور السالفة، وحددته مجموعة العوامل والمؤثرات التي سادت في بيئاتهم وازمانهم وهو

---

(١) معنى الجمالية، قاموس المعاني، www.almaany.com.

(٢) ينظر، مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية www.qu.edu.iq.

(٣) معنى الجمالية، قاموس المعاني، www.almaany.com.

(٤) غادة الامام، جاستون باشلار، جمالية الصورة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠١٠م، ص١١.

(٥) جماليات التلقي وإعادة انتاج الدلالة (دراسة في لسائية النص الأدبي) د محمد السيد أحمد الدسوقي، العلم والايمان للنشر و التوزيع، مصر –الاسكندرية ، ط١، ٢٠٠٨، ص ٨..

محصور في نطاق الفكر الأدبي وحده، وليس فيه من معطيات الفكر الفني العام شيء يذكر. لكن للجمالية (علم الجمال) في الغرب تراث فكري يضرب في العمق...ويتجه في الاتساع ليحيط بجميع دوائر الفنون الجميلة على كثرة أنواعها(١).

وهكذا ومن مطلق فرضية ياوس يتم التعامل مع النص الأدبي، حيث انه نص لاينبق من فراغ ولا يؤول إلى فراغ... فكل كاتب ينطلق من أفق فكري وجمالي يكيّف تصرفه في الموضوعات والأفكار وتدبيره للغة وسياسته للاشكال والاساليب، ويتكون من تمرّسه الجمالي بالجنس الأدبي الذي يبدع فيه(٢).

تحدد فكرة الجمال مفاهيم الجميل والجذاب، وهي تنهض على أساس ثقافي(٣). وترتبط بالاحساس والشعور، إذ يعد الشيء جميلا إذا ما أيقظ شعورا بالفرح(٤).

أما الجمالية، فهي مفهوم أوسع بكثير من الجمال، إذ لا تشير الجمالية الى الجميل فحسب، ولا الى مجرد الدراسة الفلسفية لما هو جميل، ولكن تشير الى مجموعة معينة من المعتقدات حول الفن والجمال ومكانتها في الحياة(٥).

وبما ان لعلم الجمال (الجمالية) ارث اشكالي، ذلك أنه مجال فلسفي مضطرب تحكمه المفارقات المفهومية، بحيث يصعب الخروج منه بحصيلة معرفية واضحة(٦).

---

(١) اتبان سوريوا، الجمالي عبر العصور، ت: د.ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط٢، ١٩٨٢م، ص ٥-٦.

(٢) جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي،هانس روبرت ياوس، ت: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١١.

(٣) ينظر، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية، شارلوت – سميث، ت: مجموعة من علماء علم الاجتماع، باشراف: محمد الجوهري، المجلس الاعلى للثقافة، مصر–القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥١٨.

(٤) ينظر، أطلس dtv الفلسفة مع ١١٥ لوحة بيانية ملونة، بيتر كونزمان، فرانز – بيتر بوركاد. فرانز فيدمان، اللوحات الملونة من اعداد أكسل فايس، ت: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١، ص ١٤٥.

(٥) ينظر، الجمالية، ر. ف. جونسون، ت: « عبد الواحد لؤلؤة، وزارة الثقافة والفنون – العراق–بغداد، موسوعة المصطلح النقدي، ٣- ١٩٧٨، ص ١٢.

(٦) جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١١.

وبعيدا عن تلك الإشكاليات المتعلقة بالجمالية (علم الجمال) فإننا سنركز في بحثنا على جماليات اسلوب دارا عبدالله في جدارياته وهو يصور لنا مسيرة وجوده في السجن وأثر ذلك على فكره وحياته فيالسجن وخارجه، وذلك لأن آثار السجن لا تمحو ابدأ من ذاكرة السجين مهما مر عليه الزمن.

المطلب الثاني: السجن

السجن لغة: إن الدلالة إلى مفهوم السجن في اللغة العربية موجودة منذ القدم. فقد وردت مفردات مثل السجن والحبس والحجز...في كثير من دواوين شعراء العرب وفي المصنفات الأدبية المختلفة، كما دخلت هذه المفردات إلى معاجم اللغة العربية واحتلت مكانتها واقعا مستمدا من الحياة نفسها.

ففي (لسان العرب) نجد الشروح الآتية: السجن: الحبس. والسجن بالفتح: المصدر. سجنه يسجنه سجنا أي حسبه. والسجن: المحبس. وفي بعض القراءات: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) يوسف: ٣٣، فمن كسر السين فهو مصدر سجنه سجنا. والسجان: صاحب السجن[١]. ونجد المعنى نفسه في معجم((القاموس المحيط)): والسجين المسجون: جمع سجناء[٢]، إذا السجن في المعاجم العربية يأتي بمعنى الحبس وحجز الحرية والإيقاف عن العمل[٣].

السجن اصطلاحا: السجن مكان وللمكان أهمية كبرى في الدراسات الأدبية، فالمكان هو الموضوع، والجمع أمكنة، وفلان مكين عند فلان بيِّن المكانة يعني المنزلة [٤] .وأمَا مفهوما فهو الحاوي والقابل للشيء، فأخذ مفهوم المكان اهميته في البحث الفلسفي بعد هذه الاشارة[٥]، فهو الحيِّز الذي يستوعب الأشخاص والأحداث في العمل الأدبي ويقدمها لنا في نوع من العلاقات بينها، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، ويعد من أهم أركان العملية النقدية المعاصرة.

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، فصل السين المهملة، ص ٢٠٣

(٢) القاموس المحيط، محي الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، ص٢٣٥.

(٣) مقدمة ديوان حصاد السجن، للشاعر احمد الصافي النجفي، بقلم رئيف خوري – ص١٤.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة مكن.

(٥) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: حسين مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسين مجيد العبيدي، دارالشؤن الثقافة العامة،١٩٨٧، ص ١٩.

(فمجتمع السجون ما هو إلا وحدة اجتماعية تنضوي تحت لواء المجتمع الكبير، مشابها في ذلك أحد أجهزة الجسم، غير أن مجتمع السجون مجتمع معتل سقيم) [١].

إن مفهوم السجن يتراوح بين الانتقام والمعالجة، وبين كونه دار إصلاح أو مكانا لتسديد حساب ظالم أو باغ متساط [٢].

على أن المفاهيم الحديثة للسجن أخذت تنظر الى السجن نظرة ملؤها الثقة بالإنسان القادر على تبديل سلوكه الانحرافي بافضل منه. ويكون السجن بهذا المعنى مدرسة للإصلاح والإنتاج المادي، بدل ان يكون بؤرة للفساد[٣].

إن عالم السجن قائم بذاته، يدخل الإنسان السجن ليعيش فيه ردحا من الزمن، حسب فترة حكمه. يعيش المسجون في هذا العالم فتطرأ تغييرات على حياته لم يكن يعرفها من قبل. فالمكان محدد، وغالبا ما يكون أربعة جدران متناهية في الصغر اذا ما كان السجن انفراديا، ومتناهية في الكبر اذا ما كان جماعيا، وتشيع في العالم السجن كلمة (زنزانة)، فهناك الزنزانة الإفرادية ومنها (سالول) القبر او زنزانة القبر). وهناك المرحلة الوسيطة للزنازين التي تضم أربعة أو خمسة معتقلين. ثم بعد ذالك السجن الجماعي. ولكي يعبر السجين من مرحلة إلى أخرى لا بد ان يتعذب كما المسيح الصاعد إلى الجلجلة[٤].

السجن هو ذالك المكان المغلق والمقيد الذي وجد بفعل أوضاع المجتمع، وفي هذا المكان تحبس حريات الناس بغض النظر عن أصنافهم وأسباب حبس حرياتهم، فهو مكان له حدود، وحواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتحطيم هذه الحدود والحواجز[٥].

واحيانا يكون السجن منافذ للتأملات والأفكار حيث تنعكس من خلالها الإحساسات بالأماكن المفتوحة، والعيش فيها تخيلا[٦].

فيرتبط السجن إرتباطيا وثيقا بمفهوم الحرية، ومما لاشك فيه أن من أكثر صور الحرية البدائية هي حرية الحركة، ويمكن القول: إن العلاقة بين الإنسان والمكان، من هذا

---

(١) المجتمع المريض، د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م، ص ٣.

(٢) شعر السجون، د.سالم المعوش، ص٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٤) ادب السجون، نزيه أبو نضال، ص ٨٠.

(٥) مشكلة المكان الفني، يورى لوتمان، ص ٦٨.

(٦) الرواية والمكان، ياسين نصير، ص ٢٥-٣٠.

المنحى تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية، وتصبح الحرية في هذا المضمار هي مجموع الأفعال التى يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات(١).

إنّ التأليف في الروايات المتعلقة بالسجون لم يكن عند كتابها خيارا ذاتيّا إراديّا وإنّما كان خيارا إبداعيّا مفروضا على المبدع. فأدب السجون هو أدب يفرض نفسه على السجين كما أنّ السجين يفرض نفسه عليه باعتبار أنّ الكاتب قد ولد في رحم تلك المعاناة والقهر، ورسالة الكاتب في هذا النمط الأدبي قد تنطلق من اعتبارات شخصيّة ولكنّها لا تنغلق عليها بل تسعى لتأكيد الرسالة الإنسانيّة العامّة... رسالة رفض الظلم وإعلاء قيم الحرّية والكرامة. وعادة ما يكتبه السجين يندرج ضمن أدب السجون بالمعنى الواسع والمجازي للسجن على اعتبار ما كان يستشعره الأبطال من ضيق واغتراب ومعاناة في وطنهم، وذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار القيود التي كانت مفروضة على حرّية التعبير والخوف أو الرهبة التي كانت تلاحق المواطنين فلقد أصبح لكلّ مواطن سجنه الخاصّ به وهو سجن إرادي وطوعي يدخل فيه بلا جلاّد ولا سجّان(٢).

ان وصف المكان صارت له وظيفة تفسيرية بحيث انه يستعان به في تفسير العمل الروائي وفي تتبع دلالاته. انه سحر الكلمات الذي يمس المكان فيحيله الى مكان مختلف يحمل الكثير من الدلالات والرموز والجماليات! ان من الاماكن المكتنزة بالإيجاءات والدلالات (السجن)! ومن اسباب ذلك ان السجن مكان مخالف للمألوف، ويتكثف الزمن في السجن، ويتضاعف تأثير المكان في الشخصيات والاحداث، حتى يغدو السجن مكانا مؤثرا ابلغ تأثير، انه مكان يفرض نفسه بقوة على المتلقي كما انه قد فرض نفسه بقوة وصرامة على الشخصيات التي تعيش فيه، وعلى الزمن المسجون بين جنباته، وعلى الاحداث التي تدور داخل زنزاناته وحجراته. يتجول هذا البحث في فضاء السجن، متتبعاً معالمه المكانية(٣).

واذا كان المكان قد يصنف الى مكان مفتوح وآخر مغلق فإن (السجن) من اشد الاماكن انغلاقا، والمكان المغلق يبعث عندنا ايحاء بأنه يحتوي اسرارا أو ألغازاً، ولذا تكون الاحداث فيه، والحوارات، والشخصيات حمالة للدلالات، ويكون الكاتب الناجح، والقارئ الفطن اشد حساسية تجاه عناصر المعمار الأدبي، وأكثر يقظة، وأبلغ عناية.

---

(١) جماليت المكان، مجموعة مؤلفين، مشكلة المكان الفني، ص٦٢.

(٢) ندوة تونسية تكشف عن جماليات أدب السجون، **تونس . من علي شقواي**، الاثنين ١٦/٠١/٢٠١٢، https://middle-east-online.com

(٣) جماليات المكان في الرواية السعودية (السجن نموذجا)،د. محمد بن يحيى أبو ملحة، http://www.albiladdaily.com

يتجول العمل الفني الخاص بالسجن في فضاء السجن، متتبعاً معالمه المكانية: أسواره، وأبوابه، ونوافذه، وزنازينه، كيف وصفت هذه المعالم، ما إشاراتها؟ ما دلالاتها؟[١].

وللسجن أزمنة حددها النقاد فقالوا: (هناك ثلاثة أزمنة، زمنان رئيسيان وآخر ثانوي: – الزمن الرئيسي الأول: هو الفترة التي قضاها المؤلف في السجن، وهذا الزمن الضيق هو زمن تاريخ الأحداث...– الزمن الرئيسي الثاني: هو حياة الكاتب برمتها، ... – الزمن الثانوي: هو زمن كتابة الجداريات... وقد جاء بعد خروج المؤلف من السجن [٢].

(للكتابة عن السجون ثلاثة مناخات:

– مناخ الزنزانة بكل ما فيه من أحداث ومواقف وعلاقات ومشاعر وأفكار وضغوط وسجانين وأخيلة وأشواق..وهو مناخ ضيق محدود بحدود الزنزانة، ثم حدود المبنى العام الذي يضم الزنزانة .

– مناخ الحياة: أي الحياة الحرة الطليقة ، التي كان الكاتب يحياها قبل دخوله السجن.. بكل ما فيها من حرية وانطلاق، وضغط وملاحقة ، وأعداء وأصدقاء، ومدارس وجامعات، وسياسة وأدب، وأحلام وذكريات..وهذا هو المناخ الواسع العريض، المترامي الحدود والأبعاد، في الزمان والمكان.

– مناخ التفاعل الطريف بين المناخَين السابقَين: وهو مناخ ذهني نفسي عاشه الكاتب بالساعة واللحظة داخل زنزانته..فصاغ منه عالماً فنياً زاخراً بالمفارقات والمتناقضات) [٣].

شكّل السجن تجربة قاهرة لكثير من الكتاب الذين ذاقوا مرارته ثمّ كتبوا لاحقا عن عوالمه، لامسه كلّ كاتب بطريقة مختلفة، بحيث ينفتح عالم السجن المعتم على أجواء رحبة من الإبداعات الأدبية، التي شكّلت شهادات إبداعية إنسانية على هول تجارب أنهكت أصحابها لكنها لم تنتزع منهم الجانب الإنساني، كما لم تنتزع الأمل في غد أفضل. ولا يخفى أن السجن غدا عند كثير من السجناء السابقين قيدا مستقبليا، بحيث يقف حائلا بين السجين وعالم حريته، يمنعه من ارتياد آفاق الحرية والتنعم بأنوارها[٤].

---

(١) جماليات المكان في الرواية السعودية (السجن نموذجا).

(٢) أدب السجون في سورية، الداخل مفقود والخارج مولود، خالد السمان: ٢٠٠٤/٧/٤، http://www.odabasham.net

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الأدب وعوالم السجن والحرية، هيثم حسين، الخميس ١٢/١٢/٢٠١٣، .https://alarab.co.uk

كما أن الكتّاب الذين كتبوا عن السجن يؤكدون: (أن الكتابة تداوي بعض الجراح وتخفف الأوجاع، وتريح الكاتب، وأنه بقدر ما يكون نشدان الحرية حلما بعيدا يراود السجناء، فإن عيش الحرية والتمتع بها، يكاد يكون أشدّ قسوة على الكثيرين منهم بعد الحصول عليها، ذلك لأن السجن يقيدهم بعوالمه؛ فيُفجع المسجون حين يكتشف أنه كان يعيش الحرية في سجنه، ويعاني مرارة السجن خارجه، لأنه من شأن قلب الموازين، وتغير الظروف أن تبقيه غريبا عن واقعه، متآلفا مع سجن استلب منه حياته وحريته ومستقبله، مغتربا عن حلمه المنشود الذي كان ينير حلكة سجنه، ويمنح معنى لبقائه، ويجمل له الانتظار، يتخلل السجن المهروب منه أيامه ولياليه، يعشش فيه، ممّا يؤدّي به إلى أن يشعر بعبء حريته بعيدا عن جبروت السجن القاهر) [1].

(١) الأدب وعوالم السجن والحرية، هيثم حسين، الخميس ١٢/١٢/٢٠١٣، https://alarab.co.uk.

المبحث الثاني

جمالية الأثر المادي والنفسي للسجن

المطلب الأول: جمالية الأثر المادي للسجن

يرهق السجن ضحاياه، يحد من نشاطهم الفيزيائي الجسدي، ويهلك الجسد لمنع من الحركة الطبيعية.

فالسجن مكان كبقية الأمكنة لا يرتاح السجين فيه ابدا من ناحية الجسد، فلا يوجد فيه الضوء المطلوب ولا الحركة المطلوبة ولا النظافة المطلوبة، حيث فيه تنعدام هذه العوامل الثلاثة، يشعر الإنسان السجين بهزال جسده وضعفه وعدم قدرته على التواصل.

من ناحية الأخرى نجد الأنظمة الظالمة، تبذل قصارى الجهد لإيذاء الآخرين، وقتل رغباتهم وانهاك أجسادهم، ولأجل ذالك يهتمون بالسجن كأداة لتدمير المعارضين، وللحد من نشاطهم وتغييبهم في متاهات السجون ليلا ونهارا، ومن ثم القضاء عليهم، فيرى الكاتب أن (خمس امكنة متشابهة لا تنقطع عنها الكهرباء في دمشق، المدارس والسجون والمشافي والثكنات العسكرية والمدينة الجامعية، العتمة تبعثر التعاسة، والضوء يجعلك الشاهد الوحيد)[١].

وتسيطر الحكومات المستبدة (وغير المستبدة كذلك) على مرافق الحياة في هذه السجون؟ وتحطم بذلك حركة الإرادة المضادة فضلا عن تدمير أي أمل في الحكومة، ولعل عدم انقطاع الكهرباء عن السجن كبقية الأماكن، خطة محكمة لكي يبقى السجين أسير هذا المكان المعد سلفا وبكامل المواصفات للقضاء عليه. ذاكرة السجن مليئة بالحكايات والآلام ولو أعطينا له خيالا لسرد لنا معاناة السجناء ولاندهش له ضميرالإنسانية، فلقد وجد السجناء حائط السجن سورا للنقش فيه، معبرين عن أحوالهم واحوال حياتهم، كل يغرد في الحائط لحنا حزينا وكئيبا لقسوة الحياة وشدتها (من سيشعر بالسجين الذي كتب على حائط المنفردة " ألمي أهلكني" والتي ذكرتني بعبارة شعرية لأحدهم " يكفي نخيرك أهلكَ القمر ")[٢].

فالحائط عبارة عن كتاب ضخم(رواية من نوع السيرة الذاتية) يسرد السجين عليه لمن يأتي بعده حكايات ساعاته الثقيلة وآلامه الدفينة ورغباته المقتولة سلفا، فالحائط يكلم اللاحق بأن حياتك لن تكون أفضل ممن سبقك في هذا المكان، استعد وسطر أنت أيضا على حائط السجن كل ضوء منفطر وخيال ميت، هذا حال حائط السجن الداخلي، أما الحائط الخارجي فهو يصور لحظات الوداع الحقيقية والزائمة للسجناء، ولا سيما وأرواحهم تحلق في السماء

---

(١) الوحدة تدلل ضحاياها، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣.

لترفع شكواها الى من بيد الأمر، وهوالله سبحانه وتعالى (وجوههم ملتصقة بالحائط، لقم العناصر بنادق الكلاشينكوف وأطلقوا الرصاص في الهواء) [١]. فالحائط الخارجي للسجن هو الشاهد العدل الوحيد على تلاعب الأنظمة الفاسدة المستبدة بمصائرالناس وحياتهم ومستقبالهم، هو الذي سيشهد يوم القيامة على بشاعة النظام الظالم ووحشيته وتلذذه بإيذاء الآخرين، هو هذا القتل الحقيقي للإنسان صاحب المبدأ، ولكن الحادثة لن تمر دون فضح وهتك لأستار الخفاء لأن الحائط موجود؟!!

أثر عن يوسف عليه السلام قوله: (هَذَا قَبْرُ الْأَحْيَاءِ، وَبَيْتُ الْأَحْزَانِ، وَتَجْرِبَةُ الْأَصْدِقَاءِ، وَشَمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ) [٢]. ، وهذا يقودنا إلى معرفة سبب ربط السجن بالقبر دون غيره، فمنظر القبر فظيع عند النظر إليه عن بعد فكيف بمن يعيش فيه، ولعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القبر، حين قال: (والله ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه) رواه الترمذي [٣] يجلي لنا شيئا عن فظاعة السجن أيضا. وهكذا نجد في جداريات دارا عبدالله، كلمة مهجع أكثر من مرة في إشارة إلى السجن باعتباره قبرا يأوي موتاه، كما الغرفة تؤوي النائم في اليل، والسجن كله ليل، والمهجع مكان نوم السجناء، وهل تنقضي ساعات السجون بطول النوم او السهر؟!!!

(في السجن كان معنا في المهجع سائق سيارة أجرة.....) [٤].

فالسجن أكبر من المهجع حيث فيه القاعات وغرف التحقيق والساحات والجدران الخارجية، والمهاجع أي أماكن نوم السجناء، وقد ميّز الكاتب بين السجن والمهجع في هذا النص، والدليل على قولنا بوضوح نصه الأخر المبين أن المهجع هو المكان الذي يقضي السجناء ليلهم فيه، فيقول:(ثلة من العناصر المخمورة اقتحمت المهجع مساء في فرع الأمن العسكري بدمشق). [٥]

---

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص ٥٦.

(٢) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود.. الشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيرت–لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ–١١٩٣م، ج: ٥، ص ٣١٧.

(٣) الجامع الكبير–سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٣٧٩، رقم الحديث: ٢٤١٠.

(٤) الوحدة تدلل ضحاياها، ص٥٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٦.

فارتبط المهجع باليل والنوم والمكان المخصص للسجناء لقضاء ليالهم فيه حيث يتناجون الخيال والأمال والأحلام.

في المهجع يتوالى النوم واليقظة باستمرار دون انقطاع، وعبر دارا عن هذا المكان المهم في السجن بالمسافات الزمنية وليس المكانية!! إذ يصفه قائلا:(المسافة الزمنية بين مهجع السجناء و"حي القصور" كالغبش الفاصل بين اليقظة والنوم). (١)

أي لايحس الإنسان بتلك المسافة الزمنية لقربهما من بعضهما البعض والتجاورالملتصق فيما بينهما(بين المجهع والقصور واليقظة والنوم).

والسؤال الحقيقي هنا لماذا يورد ذلك الكاتب؟ وما المغزى من هذه المقارنة؟ يتكفل هو بإيضاح ذلك فيقول: (ثوان قليلة تفصل مكانا يموت فيه الناس ببطءٍ وصمت،عن مكان يضبح بالحياة الفارهة) (٢)

اثناهما مكان لكن الفرق بينهما كبير جدا بل وشاسع، فأحدهما معد للموت البطيء الصامت، والأخرللحياة بكل وسائل الراحة والرفاهية، هذه هي الحياة دوما ولا سيما في ظل الأنظمة المستبدة! وهل هي أماكن للبشر كي تحيا فيها النفوس بكرامة؟ أم حفر وقبورمعدة سلفا للتعتيم والإذلال وقتل المعتويات؟ هل يتصور البشر ذلك (في الطريق من"المهجع لجماعي" إلى غرفة التحقيق في "فرع الخطيب" بدمشق،كان بياض بؤبؤ العين يلمع في قتامة ظلام تلك الحفر، تأكّدت وقتها أن فيها بشرا!) (٣)

فاصبح لدينا المهجع الجماعي وفي مقابله المهجع الانفرادي في المنفردات وهي الحفر المميزة المنعزلة للايغال في التعذيب، وهي "حفر" للديدان والصراصير والفئران وليس لمعيشة البشر المكرم من عند الله، والطامة الكبرى أن قتامة الظلام تغشى تلك الحفر، لذلك تجد بؤبؤ العين يلمع فيها، ليعبر عن مدى إهانة كرامة الإنسان في تلك الحفر!!! وحتى في المهجع الجماعي والمنفرد!!!

هذا هو مسار الحياة المظلم في يد الأنظمة الشمولية المستبدة والطائفية البغيضة، فالمنفردة وهي مصطلح متداول في السجون ويسمى ايضا(الغرف المنعزلة) مكان لايواء الشخص الوحيد الذي يتميز عن الآخرين بجرمه، والذي ينتقم منه النظام بتحوله إلى المنفردة، او يطلب السجناء ذلك لشخص ما، للتخلص من مشهد مقزز أو داء يوشك أن يعم ويصل إلى الآخرين، وهذا هو حال "ابو سمير" المجاهد من الجيش الحر الذي تم جرحة بقصد وتقيح

(١) الوحدة تدلل ضحاياها، ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٣.

جرحه في السجن ليتولد منه الديدان، ويوشك هذا على الموت ويود الآخرون من السجناء التخلص منه خوفا على أنفسهم (صار البعض يطلب من رئيس المهجع ان يطلب من"المساعد أول" نقل أبو سمير إلى"المنفردة" لأن "الحياة أصبحت مستحيلة")[١]. ، طبعا مع "ابو سمير" وهو في حالته هذه، وهكذا من غرفة تعذيب الى غرفة عزل خوفا من تفشي مرضه، مع تقزز من رائحته، ومشهد جرح متقيح تتفاطر منه الديدان.

ولا أجد تعبيرا ادق وأجمل من وصفة المنفردة باعتبار الحجم والقصد في التأثير حين يقول:(حجم المنفردة–القبر مصمّم بدقّة وعناية. طولها لا يسمح بالتمدد الكامل، وعرضها يعيق التكور الجنيني، حيرة برزخيّة بين الراحة والتعب) [٢]. هذا النص يمكن أن يكون مفتوحا لكل التأويلات الجامعة بين المنفردة!!! والقبر!!! والبرزخ!!! والتعب!!! والراحة!!! ذاكرة حائط المنفردة!!!.

لكي يتجلي لنا بوضوح عظم المعاناة وكبرالجرم الذي يعامل به السجناء، ولاسباب تافهة،

يتصرفون وفق تلك المآسي والتماسات. فهذا قضى (ثلاثون يوما بسبب "لايك" لقناة الجزيرة) هل تصدق ذلك، نعم لأن المحاسبة شديدة على كل شيء، وذلك لأن هذه القناة يعمل بوصفه أداة لتأليب الناس على الأنظمة الظالمة، فبسبب اعجاب يقضي الشخص ٣٠ يوما في السجن بل الأنفرادية و!!!

وهذا بسيط بالنسبة للحي داخل السجن الأنفرادي والميت خارجه، حيث نصب له الأهل خيمة عزاء ظنا منهم أن ابنهم قد فارق الحياة، وكيف يكون شعورهم عندما يعرفون أنه حي، موقف لا يوصف بالكلمات وإنما تعبير الدموع تفي بالمأساة والفرح والمعاناة. اجمل عبارات المشاعر والعواطف والرقة مشحون بالمثل والانفعالات: دعس الأزهار لن يؤخّر مجيء الربيع. أبو خالد الساعور[٣].

الأمل في الحياة الطبيعة وارد، والحصول على الحرية هدف وغاية، والسجن الأنفرادي مهما حاول به النظام تحتطيم المععويات وكسر النظام، فإن ربيع الحياة لا بد وأنه آت لا محالة، لأن هذا ناموس الكون، حيث تتوالى الشدة والفرح ويتبادلان المواقع:

قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [٤].

---

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٤) الانشراح، ٥–٦.

جمالية التعبير تزداد تأنقا في تقدير المسافات عند السجناء، ودلالاتها على أحوال القاطنين فيها، فهي لغة خاصة يتبادلها السجناء بينهم ذهنيا!! (البلاطة هي وحدة لقياس القدم في السجن، كلما كان لك بلاطات أكثر كنتَ أكثرَ عراقة، الأقدم هو الأكثر الراحة لانه يملك مكاناً أوسع. الأكثر راحة هو الأكثر تعاسة) (١).

فالبلاطة هي بمثابة حجم الكاشي اليوم في دورنا، فهو محدد القياسات ويشغل مكانا محددا وبتجاورها تكتسح أرضية الغرف والقاعات، المدهش هنا ان هذه الرقعة المكانية وحدة لقياس العمق الزماني للسجناء، فالأقدم في سجنه يملك بلاطات أكثر وهو أكثر راحة لسعة مكانه وكثرة بلاطاته، هذه هي آلية المفارقة بين الزمان والمكان في السجن. البلاطات ولدت رد الفعل لدى السجناء عليها، ورغبتهم في الحصول على بلاطات أكثر، بالرغم من عدائهم وكرههم للسجن (أحد السجناء القدماء اعترف لي بأنه عندما يبني بيته سيجعل أرضيته قطعة واحدة متّصلة، لن يسمَح لتقاسيم البلاط ان تظهر، انتقاما من ذاكِرته) (٢). اذ تحول الأثر من الداخل الى الخارج، حيث يبقى أثر البلاطة في ذهن السجين حتى بعد اخذه لحريته وممارسته لحياته الطبيعة.

أضحى السجن مكانا مرتبطا بالبشر والحيوان، فهو يضم ثنائيا غريبا عن بعضه، حيث يظهر عنده كل مفارقات الحياة غير الطبيعة، يقرر المتصرف فيها نظما ولوائح عن قصد لقتل الإنسان في الداخل والخارج: (خارج السجن الجرذان تهرب من البشر، داخل السجن البشرُ يهربون من الجرذان، عصبيّتك في مواجهة لا مبالاة الجرذ، تتجرَّد بسبب ممارسته لحياته اليومية، هدوء الجرذ أكبرُ تحدّ لقلقك) (٣).

هذه الثنائية الكاريكاتورية تفضح هذا المكان (السجن) ولقد ابدع خيال الكاتب في استيعابه وتصويره بين الداخل والخارج والبشر والجرذ، ففي خارج السجن حيث ممارسة الطبيعة اليومية لحياة الإنسان لامجال للجرذ إلا أن يهرب لأنه طارئ على تلك الحياة وزائد عليها وغير مقبول فيها، فهدوء الأنسان تحد كبير لقلق الجرذ، أمّا في داخل السجن حيث موطن الحياة الطبيعة للجرذ، والإنسان طارئ فيه فلا مجال له الا أن يهرب، وهذه الحياة الهادئة الطبيعة للجرذ تحدي كبير لقلق الإنسان.

---

(١) الوحدة تدلل ضحاياها، ص٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

المطلب الثاني: الأثر النفسي للسجن

الإنسان دوما معتد بنفسه وكرامته يسعى للحفاظ على شخصيته ويبتعد عن كل ما يؤثر على حالته النفسية، حتى لا يشعر بالاحباط والقلق وعدم الراحة، لكن حياة السجن وطبيعة التعامل مع السجين وفقده اهم دعائم الحياة السعيدة تترك اثرا بالغا في نفسية السجناء، حيث هو الجرح الذي لا يندمل ابدا، فالسجن مكان عدو يُذَّل فيه الإنسان، وليس مواقف ومحطات لتزويد الشخص السجين بالبطولات والتحديات والتحمل، يقول دارا:(أرى السجون أمكنة للإذلال وليست منصات بطولة) [1]، فلكون الكاتب قد اختبر السجون وعانى من اهوالها، تولد لديه تجربة خاصة مغزاها الأساس: أنه لا يوجد مكان على الأرض يمكن ان يشعر فيه الإنسان بالإذلال كالسجن، ويخطيء من يظن ان السجون هي منصات بطولة وتسطير للمواقف.

فتجربة دارا في سجون النظام السوري أثر عليه كثيرا، وأورثته طبيعة التعامل في فروع الأمن زخما إضافيا من الخوف، لذا يؤكد فيقول: إنني من حينها (اخاف فتح الأبواب، اخاف الطارق دوما، وأعيش دقائق صعبة تتلف فيها اعصابي عند فتح كل باب، اخاف رجال الأمن وشرطة المرور والعساكر والأشخاص ذوي الذقون الطويلة والرؤوس الحليقة، أرى السجون أمكنة للإذلال) [2]. تكرار كلمة اخاف يدل على أنه قد تمكن منه الخوف، وهذه حالة ينتاب الإنسان عند توقع خطر داهم ليس للأنسان قدرة على تجاوزه بسهولة ونسيانه فيما بعد، ففتح الباب وطرقه متزامن مع توقع الألم والخوف، وعندما تتلف الأعصاب لا يبقى للوجود الإنساني قيمة يذكر، وليس هذا فقط بل اصبح الخوف يتعدى إلى ما كل يمت إلى السلطة بصلة من كل طبقات رجال الحكومة المعروفين لدى الناس، من رجال الأمن والمرور والجيش واصحاب الذقون والرؤوس الحليقة والشوارب الكثة الغليظة، وكل هؤلاء في خيال الكاتب رموز لإذلال الإنسان بيد السلطة المستبدة، بل آلات لتعذيب الشعوب بأجمعها، لذا يقول دارا: (أرى السجون أمكنة للإذلال) فهي ليس اصلاحية كما يدعي البعض ولا اعادة تأهيل، بل السجن هو المكان الذي يفقد فيه الإنسان كرامته وقيمته وإنسانيته. وهكذا من خلال المنفردة تتبلور الفوارق بين الوحدة والانعزال في الحياة، وهي تختلف كليا عما في السجن، بين احتجاز شخص في العزلة، والإجبار الاعتيادي في الوحدة في السجن.

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١.

(المنفردة تفضح الفرق الأساسي بين الوحدة والعزلة، في الوحدة أنت لا ترى أحدا، في العزلة لا احد يراك، أشدّ ما يوجع في وحدة المنفردة أنها لا تفيد أحدا، الوحدة بحاجة الى شاهد عليها) [١].

هذا تعريف جامع مانع لحالة مأساوية في السجن دون وجود شاهد ودليل عليها، ففي السجن لست أنت من اخترت الوحدة لتنعزل عن العالم، بل الإرادة الفوقية من النظام الحاكم وآمرية السجن هي التي تحكم عليك بالوحدة في المنفردة، وهل صحيح انها لا تفيد أحدا؟!! قد لا تفيد السجين ولكن يشتفي منها السجان والنظام معا، فقد وضعت تلك المنفردات (الحفر) كسياسة لتكسير العظم ولتحطيم الظهر، حيث لا يكون بعد ذلك للإنسان وجود!!!. ولأن هذا الحياة قاسية جدا في الوحدة ضمن أستار المنفردة الفارهة، فإن جدرانها تصبح اصدقاء للحوار والأنس وتبادل الذكريات والحكايات وتفهم لغة الصمت والهدوء[٢].

من إلهامات السجن والسجناء، يعرض دارا فاصلا إعلانيا للاستراحة وأخذ النَفَس، ولكنه متعلق أيضا بالسجين والحرية (كاتبُ يدعو للحريَّة ولكنَّه مازال سجين مزاج القارئ الجائع للأساطير والبطولات، كاتبٌ كهذا لا يستطيع أن يكتب إلا ما يريده القارئ[٣].

وهكذا فإنه سيملي ما يريده المتلقي وليس ما تصدقه فكرته وعواطفه، وهذه أزمة في الكتابة.

!غريب جدا ان الظلام تبعثر تعاسة السجين، وحتى يبقى في معاناته ويستمر في تجرع الإذلال والهوان، فإن الكهرباء لا يمكن ان تنقطع عن مؤسسة للسجن، لماذا؟ لأن الظلام لا يحيلك الى الرؤية والشهادة فلا بد ان يتجلى، الضوء حتى يديم عليك التعاسة والمأساة، فلا بد ان يبقى، وانت السجين تكون الشاهد على هذه الآلام والتعاسات[٤].

يضعنا الكاتب اما مفارقات عديدة كحالة معاشة في تجربة سجنه ويتساؤل بعد ذلك، لمن يملك الأجابة، على ما كان بين السجان والسجين والصرصور:

(الماضي دوما يتربص بالمستقبل، المستقبل فرسية الماضي، ربما اغلب سجاني المستقبل سيكونون سجناء الماضى، من يستطيع ان يفهم رجل الأمن الذي يعذب وهو يبكي! من سيفسر الألفة بين السجين والصرصور)[٥].

---

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص٦٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٣.

فألم السجن والحائط في السجن الذي هو موطن العذاب من جهة، والوحدة من جهة أخرى، يبقي الإنسان أسير الماضي، ويسير على منوال لحنه القديم ولا يحد عن مساره المرسوم، لذلك من اختبر السجن بامكانه مع تصلب اعصابه ومرورة بقسوة السجن، ان يصبح سجانا يفعل بالسجناء ما تعرض هو له استشفاء على جريرة غيره وانتقاما لمحانة ماضيه، وهو الأمر نفسه بالنسبة لرجل الأمن الصلف الجاف في ممارساته لكنة يبكى، فهذا البكاء تعبير عن ماضيه البائس ونمط حياته الأسود، وفقده لكرامته الإنسانية، لذلك يغني انشودة العذاب والبكاء معا، فهو خريج مدرسة السجن التى تعلم ابناءها ان الماضي لا يزول والمستقبل وليد الذكريات الاليمة، لتأخذ حياة الإنسان ما ألفه مع الفئران والجرذان والصراصير، فلا يلتقي إلا بهم يوميا، وطول الألفة مدعاة للصداقة والجيرة.

انعدام الحرية في السجن وهي اغلى قيمة يمثلها الإنسان وبفقدها تتلاشى الكرامة والإنسانية والضمير، على هذا يضرب الكاتب مثالا على حرية الحيوانات في مقابل قيود البشر الظالمة (في السجن كان معنا في المهجع سائق سيارة أجرة من "الزبداني" يعمل على طريق "بيروت دمشق"، أقسم لي أنه يعرف قطة يراها صباحا في دمشق ومساء في بيروت، الحيوانات غير ملتزمة بحدود البشر) [1]. المغزى واضح جدا من سرد هذه القصة مع التاكيدات والقسم وانه معه في المهجع والعمل وعلى اية طريق..وماذا شاهد، كل هذا لكي يضرب ضربة المعلم في خاتمة الحدث، وهي ان الحيوانات تنتقل بحرية، بينما البشر تحد حريتهم قيود من صنع أنفسهم، إن البشر أشرس من الحيوانات، عندما يفتك، لا حدود لبطشه وغطرسته، والمشكلة الكبرى ان البلاد كلها قد تحولت الى السجون، لأن الظلمة في الحكم لا يرون إلا أنفسهم ويعملون المستحيل للبقاء على كراسي الحكم على حساب حرية الناس وكرامتهم. التلاعب بمصائر الناس وعواطفهم وحياتهم كوسيلة للتسلية، من شيم الضعفاء الذي يعانون من القلق والكبت والانهيار النفسي، وهذا اما يرتكبه الأنظمة البائسة عن طريق آلية تعذيبهم للسجناء، فينادون بعض الأسماء بإن الأعدام سينفذ عليهم وكانت كارثة الانهيار هذه تقع في مقابل ضحكات المتسلطين(همهمة مذعورة عمّت المهجع، وضجيجٌ قلقٌ انتشر بين السجناء، قام المطلوبون بالوضوء والصلاة والدعاء، أحدهم تكوَّر في زاوية ما وأجهش في البكاء، وآخر كان يطلب بالضبط أن يقولوا لابنه الكبير أن يعتني بوالدته جيداً) [2]. هذا الخبر المفجع كان بمثابة قنبلة هزة كيان السجناء جميعا ويخاصة المطلوبين للإعدام، لذلك ارتج المهجع كله بالذعر والهمهمة والفجع والقلق، هذا الموقف دائما يدفع الإنسان الى الاتجاء إلى الله، فليس له معين غيره ولا ناصر سواه، في الصلاة والدعاء، ولا يمنع ان ينهار البعض في

(١) الوحدة تدلل ضحاياها، ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٦.

البكاء والآخرون في تسطير آخر وصاياهم.(تم اقتياد السجناء الى ساحة السجن الخارجية، وجوههم ملتصقة بالحائط، لقَّم العناصر بنادق الكلاشينكوف وأطلقوا الرصاصف في الهواء، لقد كان امرا في غاية التسلية بالنسبة لهم .(احد القتلى الأحياء كانت تباغته نوبة صرع انفجارية في كل مرة يسمع فيها صوت تلقيمة البارودة)) [١] .

هذه هي المسرحية الوحيدة التي تجمع بين المأساة والملهاة، مأساة بالنسبة للسجناء الأموات الأحياء، وملهاة بالنسبة إلى عناصر الأمن الذين حركوا خيوط المسرحية، وكيف لا يجن من تحدث له ذلك؟ وكيف يستطيع التحدث بيسر وسهولة؟ هؤلاء قُتِلوا حقا، ولا يهم بعد ذالك إذا كان الرصاص في الهواء ام في اجسادهم. ومن يستطيع الصمود والثبات في وقف كهذا، بل يفقد الإنسان كل عضلاته الارادية واللارادية، كي يصبح أسير ما يحصل له مستسلما لمصيره المجهول(في لحظات التوتر الشديد والأنهيار النفسي، ترتخي كل المصرات الشرجية، احد الناجين من المجرزة الكاذبة، أحد القتلى الأحياء ارتخت كل مصرَّاته لحظة إطلاق النار) [٢]. لأن دارا كان يدرس في كلية الطب فهذا يفسر علمه يتفاصل ما يحصل لعضلات الإنسان في لحظات الأنهيار النفسي والتوتر، معناه أن الآثار النفسية تظهر في مسائل مادية جسدية فيزيائية، فمن الطبيعي بعد ذلك ان تخرج فضلات الإنسان دون ارادة منه، إنها مهزلة الطواغيت ومسرحية الضعفاء ومأساة الشعب الفقير. وحتى تكتمل فصول المسرحية يرسم الكاتب سورة كاريكاتورية للمشهد الأخير في رسالة مفتوحة الى ضمير الإنسانية وإدانة لا مثل لها للظلمة المتلاعبين بمصائر الناس.(رائحة الفودكا المنبعثة من العناصر المخمورة تجذر "علمانية" النظام في مواجهة "الإسلاميين المتشددين"، رائحة الكحول تعني بالضبط رائحة السلطة والأستبداد، في تلك ليلة بالذات أزاحت رائحة خَراء السجين رائحة فودكا عنصر الأمن) [٣]. إذا من يقوم بهذا التلاعب لا يماك دينا ولاخلق ولاضميرا، مخمور علماني بامتياز في انتقام مع اسلامي متشدد بامتياز أيضا حسب قول دارا عبدالله، لكنه يؤول الموقف لتصبح هذه الراحة من المنبثقة من الخمر والفودكا هي وجه النظام العلماني الحقيقي في أعلى درجات السلطة والاستبداد بكل دلالاتها السلبية، وخاتمة المسرحية ضعف الشعب وانهياره النفسي وتوتره الشديد وارتخاء عضلاته ومن ثم خراؤه تغلب رائحة السلطة المخمورة !!! وهذه شعار العلمانية المستوردة تتجرعه الشعوب المسلمة المقهورة في بلاد الطواغيت والظلمة.ولعلنا بعد هذا ناتي إلى قسوة بدرجة مماثلة في سجون البشر ولا سيما في السجون

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

الانفرادي، في وحدة وعزلة قاتلة، تدمر فيها نفسيته ومعنوياته وكامل ارادته، حتى لا يستطيع بعد ذالك ان يمارس حياته الاعتيادية بل حتى جرس الكلمة (المنفردة) بايحاءاتها الصوتية تعذب الذهن واللسان والقلب معا.

ويبدع لنا قلم الكاتب في اصدار ماركة جديدة ومقاييس حديث لمعريفة مقدار الالم في السجن، إنها البلاطة، القطعة المغطية مع زميلاتها لأرضية السجن والمملوكة من قبل السجناء حسب اقدميتهم (الأكثر راحة هو الأكثر تعاسة، البلاطة هي وحدة لقياس الألم. المكان الوحيد الذي يقاس فيه عمق الزمان باتساع المكان هو السجن، أحد السجناء القدماء اعترف لي بأنه عندما بيني بيته سيجعل أرضيته قطعة واحدة متصلة، لن يسمح لتقاسيم البلاط أن تظهر، انتقاما من ذاكرته) [١].

إنه الألم النفسي في اختبار السجن، فبالرغم من الراحة في المكان الموسع له، لكنه أكثرهم تعاسة وألما، فوحدة المكان هنا اداة لقياس الألم النفسي الذي يصيب الإنسان في عقله ويترك أثره في ذاكرته ويحملها معه في الخارج، فينتقم منها في جعل أرضية بيته قطعة واحدة لا تقاسيم فيها.

بل تصل الحال بالإنسان إلى درجة تفقده الصلاحية للحياة الطبيعية، ليبقى خيوط حياة السجن محفورة في نفسيته وغائرة في حياته بحيث لا ينفك منها أبدا (لا يخرج المرء من السجن دفعة واحدة، الإفراج النهائي يخرج أقل كمية منك. أوّل ليلة في البيت لم أتجرّأ على التمدد الكامل على السرير، ولم أبقَ في "التواليت" أكثر من ٣٠ ثانية، ثلاث ساعات وأنا أشاهد مباريات كرة قدم خليجية، في الساعة الرابعة صباحا، كنت على وشك أن أجهش بالبكاء وأقول لهم أن يعيدوني إلى السجن، لم أعد أصلُح سوى أن أكون سجينا) [٢].

(١) الوحدة تدلل ضحاياها ، ص٦١.

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٩.

الخاتمة

- بالرغم من فظاعة السجن، فإننا نتلمس جماليات في جداريات دارا عن الفترة التي قضاها في السجن.
- عاش الأديب الكوردي الشاب دارا عبدالله معاناة السجن على يد النظام السوري وخاض صنوف العذاب فتولدت منه جداريات تفتقت لتقدم لنا (الوحدة تدلل ضحاياها). حيث وظف الأسلوب الفني لمصلحة الفكرة.
- اثر السجن النفسي لا يزول بزوال السجن بل يبقى في ذاكرة المسجون ولو بعد عشرات السنين.
- الأثر الجسدي للسجن مباشر على كاهل الإنسان الضعيف وجسده الهزيل المتهالك، فلا يقوي على الصمود، ويفضل الاعتراف والموت في كثير من الأحيان على هذا التعذيب الهمجي المتوحش.
- لكون دارا عبدالله عاش غربة السجن فإن جدارياته تتسم بالمفارقات والمغايرات والتلاعب بالعبارات وخلق للصور الخيالية القريبة من الواقع.

ثبت المصادر

اولاً: المصادر العربية

- أدب السجون، أبو نضال، نزيه، دار الحداثة-بيروت،١٩٨١.
- أطلس dtv الفلسفة مع ١١٥ لوحة بيانية ملونة، بيتر كونزمان، فرانز- بيتر بوركاد. فرانز فيدمان، اللوحات الملونة من اعداد أكسل فايس، ت: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١.
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيرت-لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ-١١٩٣م.
- الجامع الكبير-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.
- الجمالية، ر. ف. جونسون، ت: « عبد الواحد لؤلؤة، وزارة الثقافة والفنون – العراق- بغداد، موسوعة المصطلح النقدي، ٣- ١٩٧٨.
- جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبرت ياوس، ت: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- جماليات التلقي وإعادة انتاج الدلالة (دراسة في لسائية النص الأدبي) د محمد السيد أحمد الدسوقي، العلم والايمان للنشر و التوزيع، مصر -الاسكندرية ، ط١، ٢٠٠٨.
- جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٧.
- جمالية الصورة، جاستون باشلار، غادة الامام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.
- الجمالي عبر العصور، اتيان سوربوا، ت: د.ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط٢، ١٩٨٢م.
- ديوان حصاد السجن، النجفي ، الصافي أحمد : ، منشورات مكتبة المعارف، مطابع دار الغندور، بيروت . لبنان.
- الرواية والمكان، ياسين نصير، دار نينوى، ط١، م١-٢٠١٠.
- شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، د.سالم المعوش، دار النهضة العربية-بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، جماليات المكان، مجموعة من المؤلفين، ١٩٨٦.

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٦ – ٢٠٠٥.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ت: ٧١١هـ، دار صادر – بيروت، ط ٣، – ١٤١٤ هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
- موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية، شارلوت – سميث، ت: مجموعة من علماء علم الاجتماع، باشراف: محمد الجوهري، المجلس الاعلى للثقافة، مصر –القاهرة، ١٩٩٨.
- نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسين مجيد العبيدي، دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
- الوحدة تدلل ضحاياها، دارا عبدالله، دار مسعى، البحرين، ط١، ٢٠١٣.

ثانياً: الإنترنيت

- أدب السجون في سورية، الداخل مفقود والخارج مولود، خالد السمان: ٢٠٠٤/٧/٤، http://www.odabasham.net
- الأدب وعالم السجن والحرية، هيثم حسين، مجلة ادب شام، ع ٩٤٧، الخميس ١٢/١٢/٢٠١٣، موقع: htt://www.adabasham.net/show.php?sid=2036
- جماليات المكان في الرواية السعودية (السجن نموذجا)، د. محمد بن يحيى أبو ملحة، موقع: http://www.albiladdaily.com
- معنى الجمالية، قاموس المعاني، www.almaany.com.
- مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية www.qu.edu.iq.
- ندوة تونسية تكشف عن جماليات أدب السجون، تونس . من علي شقواي، الاثنين ١٦/٠١/٢٠١٢، https://middle-east-online.com